الفصل الخامس

تدريس التصنيف
فى أقسام المكتبات
بالوطن العربى

تناولنا فى الفصل الثالث والفصل الرابع قضيتين من القضايا الرئيسية التى تؤثر على المكتبات العربية، وهما قضية الركائز الفنية، وقضية المصطلحات. وقد اتضح من دراستنا للقضيتين مدى التشتت والتشرذم فى جهودنا، وكذلك مفترق الطرق الذى تقف فيه الركائز الفنية بعامة، والتصنيف بخاصة. ولا شك أن الحالة الراهنة للمكتبات العربية وللركائز الفنية توثر على تدريس موضوعات تنظيم المعرفة ومنها التصنيف، فإن التدريس لا يتم فى فراغ، كما أن إعداد الخريجين يجب أن يرتبط ارتباطا وثيقا بالمشكلات التى سوف يتعاملون معها فى المكتبات العربية. وفى هذا الفصل أتناول قضية تدريس التصنيف بشىء من التفصيل لعل هذه الدراسة تساعد القائمين بتدريس الموضوع فى الوطن العربى فى وضع خططهم الدراسية. كما أنها يمكن أن تكون نموذجًا يسهم فى توضيح الصورة بالنسبة لعناصر التنظيم الأخرى.

وليست هذه الدراسة لواقع تدريس التصنيف فى أقسام المكتبات العربية، ولكنها سوف تعتمد على طرح تساؤلات وقضايا فى تدريس الموضوع والإجابة عنها تمهيدا لوضع خطة دراسية مفصلة للموضوع. وإن الأسئلة والقضايا التى يمكن أن تطرح كثيرة جدا، نظرا لأهمية الموضوع من ناحية ولكثرة جزئياته من ناحية أخرى. وفيما يلى أهم هذه القضايا والتساؤلات:

١. ما أهداف تدريس التصنيف فى الخارج بصفة عامة، وما أهداف تدريسه فى أقسام المكتبات العربية بصفة خاصة، وهل هناك فروق واختلافات بين الأهداف فى الحالتين؟

٢. ماعلاقة أهداف تدريس التصنيف بأهداف تدريس علوم المكتبات بصفة عامة، وهل تؤثر الأهداف العامة لتعليم المكتبات فى بلادنا على تعليم التصنيف؟

٣. ما موقف المكتبات العربية من قضية الركائز الفنية، ومدى تأثير ذلك على التعليم؟

٤. ما نوع الطالب الذى سوف نعلمه؟ هل هو على مستوى البكالوريوس أم الماجستير؟

٥. ما موقف المكتبات العربية من التصنيف، وما نوع المشكلات التى تتعرض لها تلك المكتبات عند التطبيق، وهل هو نفس نوع المشكلات فى الخارج أم تختلف عنها؟

٦. هل يدرس التصنيف كموضوع مستقل أم يدرس فى ضوء التكامل بين طرق تنظيم المعرفة، أى على ضوء المدخل متعدد المجالات Interdisciplinary Approach. وهل ندرس علاقة التصنيف بالطرق الأخرى للتحليل الموضوعى؟

٧. أين نبدأ؟ هل نبدأ بحاجات المكتبات أم نبدأ بالنظرية؟[١]

٨. أية نظرية سوف ندرس؟ الحاصرة؟ أم التركيبة؟

٩. نظرية من يجب أن ندرس؟ ديوى؟ أم رانجاناثان؟ أم فيليبس أم ملز؟ أى ما موقفنا من نظريات التصنيف ومدارسه؟

١٠. ما الأوضاع العملية التى سوف يتعرض لها خريج أقسام المكتبات؟ وهل يمكن تأهيل الخريج لمواجهة تلك الأوضاع؟

١١. ما أوضاع العلوم العربية والإسلامية، وماخصوصيات الفكر الإسلامى فى الموضوع؟ وما خصوصيات تلك العلوم وهل تؤثر على تعليم التصنيف عندنا؟

١٢. ما الموضوعات التى نحتاج لتدريسها ـ إذن ـ على ضوء الظروف والمشكلات التى تعانى منها المكتبات العربية؟

١٣. ما موقفنا من المفاهيم الأساسية للتصنيف؟ وهل تدرس قضايا ومفاهيم المدارس المختلفة، ولأى الأغراض؟ هل لتنظيم المعرفة؟ هل لتنظيم المصطلحات؟ هل لتنظيم المكتبات؟[٣]

١٤. ما دور التصنيف فى المكتبات وما دوره فى استرجاع المعلومات؟ هل يستخدم لترتيب الرفوف أم يستخدم لتنظيم المعرفة؟

١٥. أية خطة تصنيف سوى ندرس؟ هل ندرس ديوى فقط/ أم ندرس خطط تصنيف أخرى؟

١٦. قضية تتابع الطبعات وما الطرق التى يمكن للمكتبات العربية أن تتواءم بها مع هذه القضية؟

١٧. قضية تعدد التعديلات وما الطرق التى يمكن للمكتبات العربية أن تعالج بها هذه القضية؟

١٨. ما موقف المكتبات العربية من قضية التصانيف المتخصصة؟ وهل تحتاج أحيانا إلى وضع تصانيف متخصصة تلبى احتياجاتها؟

١٩. ما علاقتنا بتاريخ التصنيف؟ وهل نحتاج لتدريسه فى ضوء العلاقة بين تصنيف المعرفة وتصنيف الكتب؟

٢٠. ما علاقة التصنيف بالمكانز وبطرق التكشيف المختلفة؟

٢١. ما علاقة التصنيف بتكنولوجيا المعلومات: فهارس البحث المباشر، والتصنيف الآلى؟

٢٢. هل يمكن وضع خطة لتدريس التصنيف فى أقسام المكتبات العربية على ضوء ما سبق؟ وما ملامح وتفاصيل تلك الخطة؟

هذا مجمل للتساؤلات. وسوف نحاول فى الصفحت التالية الإجابة عنها.

بعض الاعتبارات والأهداف العامة لتعليم المكتبات ومدى تأثيرها على تعليم التصنيف

إن الحاجة الأولى فى تدريس التصنيف هى خطة أساسية ومجموعة من الأهداف، والإجراءات التى تتخذ لتحقيق تلك الأهداف، والمشكلات التى من

الممكن أن تظهر[٤]. لابد إذن من تحديد الأهداف من تدريس الموضوع، وذلك حتى يتسنى لنا معرفة الموضوعات التى يجب أن يدرسها الطالب إذا أردنا أن نحقق تلك الأهداف.

وليس الهدف من دراستنا هذه مجرد صياغة مجموعة من الأهداف الجافة الجامدة المعزولة عن سياق الموضوع وعن الاتجاهات المختلفة، بل لابد لكى نتعرف هذه الأهداف ونحددها من دراسة قضايا وأمور أخرى مهمة، أى: الأسس والأفكار، بل والفلسفة التى تقف وراء تحديد الأهداف، والظروف التى سوف يعمل بها الخريج، وظروف تدريس الموضوع من حيث الوحدة والتنوع، والمجالات التى سوف يعمل بها الخريج، والخبرات والمهارات اللازمة لهذا الخريج، وظروف البيئة التى يعمل بها، والمشكلات أو القضايا العملية التى من المنتظر أن تواجهه بعد تخرجه، وما إلى ذلك من تلك الظروف والقضايا.

وقبل أن نتناول الأهداف المتعلقة بتدريس التصنيف نفسه، سوف نبدأ بتناول الأهداف العامة لتعليم المكتبات فى أقسام المكتبات العربية لكى نرى ما يمكن أن يكون لها من تأثير على تعليم التصنيف. وليس بوسعنا فى دراسة عن تعليم التصنيف أن نتناول الأهداف العامة بالتفصيل وإنما سوف نجتزئ ببعض الأمور والاعتبارات التى يمكن أن تؤثر على تعليم التصنيف. ويمكن أن نقف هنا عند العوامل التى يجب وضعها فى الاعتبار عند إعداد برنامج عام لتعليم المكتبات فى الدول العربية[٥]:

١. توفير برنامج إعداد يتفق وحاجات مرحلة النمو التى تمر بها مؤسسات المكتبات والمعلومات.وقد ذكرت من قبل أن العصور كلها تتزامن فى المكتبات العربية، وتحدثت عن حالة عدم الاستقرار التى تمر بها الركائز الفنية، وعن تأثير ذلك على عملية التعليم[٦].

٢. توفير برنامج يساعد فى تطوير البنية الداخلية وفق الخطوط الحديثة خلال المستقبل المنظور. أى أن البرنامج يجب ألا يوجه طاقته واهتمامه نحو الحاجات والممارسات التقليدية والجارية أو الآنية للمكتبات، بل يجبُ أن يقوم بدور ابتكارى من خلال اقتراح وتقديم التطورات الحديثة وبحث ماهو قديم، وإعادة

فحص ما تم قبوله، وتجريب ما لم يجرب، باختصار يجب أن يقوم بدور الرائد في هذا المجال:

يجب إذن أن نتعرف الاحتياجات المستقبلية وأن نعد الممارسين الذين يصلحون لها، يجب أن نقود المجال لا أن نكون صورة مشوهة أو باهتة له.

٣. توفير برنامج يخضع للظروف البيئية المحلية، حيث تختلف الظروف هنا في بلادنا عن الظروف في الخارج. فلا يستحب مثلا وضع برنامج واحد يطبق بصورة موحدة هنا وهناك بل يجب أن تدخل الظروف المحلية في الاعتبار.

وتحل مشكلة التنوع في الدول الكبيرة من خلال تعدد البرامج في مدارس المكتبات وتنوع محتوياتها بحيث تخدم الأغراض الخاصة. أما في بلادنا فإن الظروف تختلف، وفي هذا الإطار نجد مجموعة من الظروف المحلية:

(أ) مدخلاتنا على مستوى الثانوية العامة في معظم الحالات. ففيما عدا حالات قليلة في أقسام المكتبات في الوطن العربي يسمح فيها للحاصلين على البكالوريوس بدراسة علوم المكتبات والمعلومات[٧]، فإن الغالبية العظمى من الأقسام تستقبل الحاصلين على الثانوية العامة.

(ب) ولابد أن نقبل هنا أيضاً أن استعداد الطالب للتحصيل ربما يكون أقل من مثيله في الدول المتقدمة، كما أن الإمكانات المتوافرة من الأساتذة والأدوات وبيئة التدريب ومجموعات التطبيق العملي، الخ. قد تكون أقل من مثيلاتها في الدول المتقدمة. وهذا بدوره سوف يؤدي إلى تخطيط البرنامج بحيث يعطى جرعات أكبر للأساسيات حيث تحتاج إلى مزيد من الجهد والتدريب. وما عرضته عن أوضاع الأساسيات أو الركائز والإجراءات الفنية يؤكد هذا.

(جـ) العوامل الدينية والسياسية والاجتماعية يجب أن توضع في الاعتبار، وكذلك اعتبارات الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي.

وهنا مثال واحد فقط لمجرد ضرب المثل، وهو أن المخطوط العربي والتراث العربي يجب أن يحظيا بقدر كبير من الاهتمام وهذا أمر لا يوجد مطلقا في الدول الأخرى التي لا تراث لها ولا حضارة سابقة.

نحن بحاجة إذن إلى أن نراعى وجود البرنامج ـ أى برنامج ـ فى مجتمع عربى إسلامى، وأن نراعى حاجات الثقافة العربية الإسلامية، والإنتاج الفكرى العربى باعتباره جزءاً أساسيا فى المكتبات العربية[٨].

ولا شك أن الاعتبارات العامة السابقة لها تأثير فى تدريس التصنيف فى أقسام المكتبات العربية. وقد نعود إلى ذلك فيما بعد.

الأهداف العامة لتعليم التصنيف

فى ضوء ما سبق، وفى ضوء الظروف المحلية، يحق لنا أن نسأل الآن:هل أهداف دراسة التصنيف فى أقسام المكتبات العربية تختلف عن أهداف دراسته فى الدول الأخرى، وخاصة المتقدمة منها، بمعنى: هل تدريس التصنيف يمكن أن يكون عندنا مثله فى أمريكا أو بريطانيا أو الهند أو الفلبين مثلاً؟

للإجابة عن هذا نقول إن هذه القضية لها جانبان:

أولا: جانب فكرى يتعلق بوضع المكتبات العربية والإسلامية كمؤسسات تعمل لخدمة مجتمعات عربية إسلامية، وهو جانب استراتيجى لا يتعلق بالمكتبات وحدها بل يتعلق بكل المؤسسات التعليمية والثقافية فى المجتمع.

ذلك أن وظائف تلك المؤسسات تشتق من فكر الأمة وأهدافها. وكل نوع من أنواع المؤسسات فى المجتمع يأخذ فكر الأمة ويحوله إلى أهداف واستراتيجيات ووظائف، لتحقيق رسالة الأمة[٩].

ثانيا: الجانب الثانى عملى تطبيقى، يتعلق بالمرحلة التى تمر بها المكتبات العربية، والتى أشرنا إليها فى الفصل الثالث. كذلك يدخل فى هذا الجانب العملى التطبيقى أن علم المكتبات فى بلادنا لا يزال فى مرحلة المتابعة والتقليد، ولم يستكمل بعد كيانه ومقوماته من وجود لغة اصطلاحية، واستقرار الأنظمة، الخ.، كما أننا لم نصل بعد إلى مرحلة التقنين. ولست أقصد بالتقنين المصادرة على الخلاف، ولكن أقصد أن علم المكتبات وفن المكتبات يعتمدان على التوحيد فى الممارسة، فلنختلف كما

نشاء ولكن يجب فى النهاية أن نتفق على التقنينات التى تكون أساس العمل، وأن نتفق على الوحدة فى التعليم والممارسة والتطبيق حتى نخلص مكتباتنا مما تعانيه من تضاربات. وقد أشرت إلى ذلك من قبل.

ويمكن أن نحدد الأهداف العامة لدراسة التصنيف فيما يأتى:

أولا: الهدف الأول من إعداد المصنفين هو كما ذكر فيليبس تخريج مصنفين مهرة أكفاء من الناحية العملية[١٠]. هناك فارق بين المصنف Classifier وهو الذى يقوم بالتصنيف العملى فى المكتبة وبين عالم التصنيف Classificationist وهو الذى يقوم بإعداد نظام التصنيف، أو الذى يدرس نظرية التصنيف. وهناك علماء تصنيف وضعوا الأسس لنظريات التصنيف وفى نفس الوقت أعدوا أنظمة خاصة بهم؛ وهناك علماء تصنيف أعدوا أنظمة ولكنهم لم يسهموا فى إعداد نظرية التصنيف؛ وهناك علماء تصنيف درسوا نظرية التصنيف ودرسوا الأنظمة المختلفة دراسة تاريخية ونقدية ولكنهم لم يعدوا أنظمة تصنيف.

ومثالنا على الفئة الأولى كل من بليس ورانجاناثان وريتشاردسون وكتر. فالأول والثانى وضع كل منهما نظرية متكاملة للتصنيف ثم وضع نظامه الخاص به وفقا لتلك النظرية. كما أن ريتشاردسون هو أول من كتب فى نظرية التصنيف كتابا مستقلاً ثم أعد تصنيفا استخدمه فى مكتبة جامعة برنستون[١١]. كذلك كان كتر أول من انتقد التصنيف العشرى واضعا بذلك الأسس الأولى لنظرية التصنيف، ثم أعد تصنيفه الواسع لكى يتلافى أخطاء ديوى[١٢].

ومثالنا على الفئة الثانية كل من ديوى، وبول أوتليه وهنرى لافونتين، ثم هانسون ومارتل. وديوى معروف للكافة فهو صاحب أول خطة حديثة ولكن ديوى كان عمليا قبل أى شىء آخر[١٣]، ولم يدع مطلقا أنه وضع نظرية للتصنيف، وتستفاد آراؤه عن التصنيف من مقدمات التصنيف العشرى التى كانت آخرها مقدمته للطبعة ١٢ التى كانت آخر طبعة صدرت فى حياته[١٤].

كذلك فإن بول أوتليه وهنرى لافونتين اللذين عملا فى تطوير التصنيف العشرى

العالمى لترتيب الببليوجرافية العالمية Universal Bibliography لم يكن لهما إسهام فى نظرية التصنيف. ومثلهما هانسون ومارتل اللذان بدآ العمل فى تصنيف مكتبة الكونجرس.

أما الفئة الثالثة فهناك كثيرون درسوا الأنظمة والنظريات دراسة نقدية وأبرز مثال لهم هو برويك سايرز أستاذ التصنيف فى مدرسة المكتبات بجامعة لندن منذ إنشاء المدرسة ١٩١٩ وحتى وفاته ١٩٦٠. وهناك العشرات من هؤلاء.

ليس الهدف من تعليم التصنيف فى أقسام المكتبات العربية هو تخريج علماء تصنيف من الطراز السابق، مع أن ذلك ليس على الله بعزيز، فالهدف هو أن يكونوا مصنفين مهرة أكفاء من الناحية العملية.

ثانياً: تنقسم عملية التصنيف العملى إلى المراحل الآتية:

١. تقرير أو تحديد موضوع الكتاب أو الوثيقة. وهذه عملية مشتركة فى كل طرق الاسترجاع الموضوعى من تصنيف وفهرسة موضوعية وتكشيف وهى تتم من الكتاب نفسه، ولذلك فهى عملية ذهنية تعتمد على معرفة المكشف بالموضوعات التى تعالجها الكتب. وقد نعود إلى هذه النقطة فيما بعد لأن ذلك يتعلق بتعليم المكتبات بصفة عامة وليس تعليم التصنيف فقط. وتسمى هذه العملية أو المرحلة: التلخيص: Summerization.[١٥]

٢. المرحلة الثانية هى ترجمة الموضوع المخصص للكتاب أو الوثيقة والذى تم التوصل إليه فى المرحلة السابقة، ترجمته إلى لغة النظام. وهنا يبدأ الاختلاف بين طرق الاسترجاع الموضوعى، فإذا كان الأمر يتعلق بالتصنيف، يترجم الموضوع إلى رقم التصنيف، وهو ما نسميه: تحديد رقم التصنيف، وهى عملية تمر هى الأخرى بمرحلتين: هما تحديد القسم الرئيسى، وتحديد رقم التصنيف المخصص[١٦]. وإذا كان المكشف يفهرس فهرسة موضوعية فإنه يترجم الموضوع إلى لغة قائمة رؤوس الموضوعات أو إلى لغة الكشاف.

ثالثاً: العمليتان السابقتان تتطلبان ما يأتى:

١. معرفة بالموضوعات. وهذه تثير قضايا إعداد العاملين فى المكتبات بصفة عامة وليس التصنيف فقط لأن التصنيف هو أحد المجالات التى تحتاج إلى التخصص الموضوعى فى المكتبة حتى يكون المصنف قادراً على فهم موضوعات الكتب. وحتى لا نكرر أنفسنا، وحتى لا تطول الصفحات أذكر أننى قد سبق أن عالجت هذا الموضوع بشىء من التفصيل فى كتاب سابق(١٧).

٢. العملية الثانية وهى ترجمة الموضوع إلى رقم التصنيف تحتاج من المصنف إلى معرفة دقيقة بنظام التصنيف الذى يعمل به وبقواعد التصنيف العملى.

وهذا يثير عدداً من القضايا التى لها علاقة بالتعليم:

(أ) أى نظام سوف ندرس: هل نكتفى بنظام واحد هو التصنيف العشرى الذى يستخدم أكثر من غيره فى المكتبات العربية، أم ندرس نظما أخرى قد تكون مستخدمة بصورة أقل ولكنها تستخدم أيضا.

ونجد فى هذا الخصوص أن بعض المكتبات العربية تستخدم التصنيف العشرى العالمى وبعضها تستخدم تصنيف مكتبة الكونجرس.

(ب) القضية الثانية هى دراسة تطبيقات ديوى فى المكتبة العربية. وهى قضية متشعبة وخطيرة وتمثل مشكلة حقيقية أمام العاملين فى المكتبات العربية. ولكى نعرف حجم هذه القضية لابد أن نشير أولا إلى ديوى وطبعاته وتعديلاته. وهذه تحتاج إلى معالجة مستقلة، ونكتفى الآن بسردها ضمن المشكلات والقضايا.

(جـ) القضية الثالثة هى: ما الموقف من نظرية التصنيف، وهل يكفى أن يلم الطالب بنظام واحد أوأكثر ويتدرب عمليا على ديوى لكى يصبح مصنفاً جيداً. وسوف نتناول هذه القضية أيضاً بشىء من التفصيل لأن لها علاقة بالتصنيف العملى من جهة وبالأوضاع العملية فى المكتبات العربية من جهة أخرى.

رابعـا: موضوع أثاره بالمر، وهو يتعلق بدور التصنيف ووظائفه فى كل جوانب العمل فى المكتبات.

خامسا: التصنيف يحاول أن يتابع تقدم المعرفة، والمعرفة تتطور باستمرار. والمصنف عليه أن يحاول معرفة دينامية المعرفة والطرق والأساليب التى تنمو بها وهو يحتاج فى هذا الصدد إلى خبرات وتجارب معينة تمكنه من هذه المتابعة.

سادسا: تخرج أقسام المكتبات العربية خريجا واحداً لكل أنواع المكتبات: الوطنية والعامة والمدرسية والجامعية والمتخصصة ومراكز المعلومات. قد تكون المكتبة التى يعمل بها الخريج جزءاً من جهاز أكبر وقد تكون مكتبة مستقلة أى مفردة. فى الحالة الأولى قد تكون أوضاع العمل مستقرة وقد لا تكون. وفى الحالة الثانية وخاصة إذا كان يعمل فى مكتبة متخصصة قد يكون عليه هو مسئولية اتخاذ القرار، فماذا هو فاعل، وهل إذا اقتصرت خبراته ومعارفه على دراسة خطة واحدة أو اثنتين؟ هل يكون قادراً على اتخاذ القرار الصحيح فيما يتعلق باختيار نظام التصنيف؟ ومادا لو احتاج الأمر إلى أن يُعِّد نظام تصنيف أو مكنزاً لمركز المعلومات الذى يعمل به. وهذا يثير قضية أخرى هى علاقة التصنيف بطرق الاسترجاع الموضوعى الأخرى، ودوره كأساس لطرق الاسترجاع الموضوعى.

سابعا: أخذت كثير من المكتبات العربية الآن فى التحول إلى الحاسب الالكترونى، ولا شك أن لذلك تطبيقاته وله أيضاً مشكلاته. والسؤال هو: كيف يعد المصنف للتعامل مع هذه التطبيقات وتلك المشكلات. إن هذه القضية خطيرة وحقيقية لدرجة أن هناك الآن نظرية ثالثة للتصنيف:

«وإن أعراف أو تقاليد التصنيف، أى القواعد التى تبين كيف تبنى خطة التصنيف وتطبق، هذه الأعراف وجدت منذ ما يزيد عن مائة سنة. وقد نقحت هذه القواعد وتمت صياغتها؛ بحيث يمكن القول الآن بأن هناك أسساً للتصنيف. ومن المهم أن ندرك أنه توجد مجموعتان أساسيتان من أسس التصنيف؛ أسس لخطط التصنيف الحاصرة، وأسس لخطط التصنيف التركيبية، وقد تناولناها جميعا فى هذا الفصل. وهناك مجموعة ثالثة من الأسس لأغراض التصنيف فى فهارس البحث المباشر، هى تحت التطوير والإعداد[١٨].

ثامنا: هناك خصوصيات تنفرد بها المكتبات العربية. وقد ذكرت من قبل أن

تعليم العاملين فى المكتبات يجب أن يراعى وجود المكتبات فى مجتمع عربى إسلامى، وهذا يفرض وجود دراسة مفصلة بالنسبة للمخطوط العربى والتراث العربى. وفيما يتعلق بالتصنيف فإنه يفرض علينا أن ندرس مدى ملاءمة خطط التصنيف الأجنبية للمكتبات العربية والفكر العربى والإسلامى. كما يفرض علينا تدريس تاريخ التصنيف عند المسملين لأن هذا الموضوع قد تجوهل فى كتب التصنيف الأجنبية.

تاسعا: هناك جوانب إدارية مهمة تتعلق بتطبيق التصنيف فى المكتبات وبإعداد الفهرس المصنف، وبإعادة التصنيف، وتكلفة التصنيف، الخ. وهى جوانب لابد أن يلم بها المصنف ـ المفهرس.

وإذا كنت قد نجحت فى إثارة الموضوعات والأسس العامة، فإننى يمكن أن أشرع الآن فى تناول كل واحدة من القضايا بشىء من التفصيل تمهيداً لصياغة أهداف محددة للتعليم، ثم لوضع خطة استرشادية للتصنيف تصلح أساسا يمكن الاستفادة منه فى وضع خطط تعليم التصنيف فى أقسام المكتبات العربية. وسوف أسير فى معالجتى التالية حسب الترتيب الطبيعى للأشياء بقدر الإمكان.

وسوف أحاول أن أكون مختصراً بقدر الإمكان وإلا طالت الصفحات بشكل يزيد عن حد.

أولا: المفاهيم والقضايا الرئيسية

نقصد بالمفاهيم والقضايا الرئيسية ما يمكن أن نسميه مقدمات الشروع فى العلم بالنسبة لدارس التصنيف؛ فلا يمكن أن يبدأ الطالب بموضوعات التصنيف مباشرة، بل لابد من مقدمات تمهد لدراسة هذه الموضوعات. ومن أهم تلك المقدمات: التعريفات المهمة للألفاظ والمصطلحات سواء فى ذلك مصطلحات المدرسة القديمة أو مصطلحات المدرسة الحديثة، ومعالجة التصنيف باعتباره جزءاً من كل أعم هو تنظيم المعرفة(١٩).

وهذا يتطلب بطبيعة الحال مدخلاً عاماً إلى التنظيم ومكان التصنيف فيه. كما يتطلب دراسة الاتجاه الحديث فى التنظيم وهو التكامل فى طرق الوصول، ثم إبرازاً لدور التصنيف فى الاسترجاع الموضوعى باعتباره أساس كل أنواع وطرق الوصول

إلى المعلومات من خلال الموضوعات. وهذا يتطلب الحديث عن دور التصنيف سواء من حيث الوظائف التقليدية، فى المكتبات أو دوره فى استرجاع المعلومات، أو دوره كمفهوم وأسلوب فى بناء المكانز وطرق التكشيف وقوائم رؤوس الموضوعات.

ثانيا: تاريخ التصنيف وتطوره

يحتاج الطالب إلى أن يعرف كيف نشأت خطط التصنيف الحديثة. وتركز كتب التصنيف الحديثة على الفترة التى تلت ١٨٧٦ . ولكن هناك كتباً أخرى مثل بليس تعطى مسحا شاملاً لنظم التصنيف التى سبقت تلك الفترة. ودراسة تاريخ التصنيف وتطوره فى العصر الحديث هى دراسة لتطور الأنظمة والنظريات، فمن المهم أن يعرف الطالب التطورات التى مرت فى تلك الأنظمة وتلك النظريات حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن. وليست هذه دراسة لتفاصيل الأنظمة والنظريات، فسوف تكون هذه موضوعاً لدراسات تالية.

من المهم أن يعرف الطالب أن سنة ١٨٧٦ كانت بداية لتاريخ التصنيف فى العصر الحديث ثم تطور الأفكار والخطط والنظريات التى أدت إلى ظهور خطط أخرى حديثة وهى: كتر والتصيف الواسع، تصنيف مكتبة الكونجرس، التصنيف العشرى العالمى، تصنيف براون، تصنيف رانجاناثان، وتصنيف بليس. ومن المهم كذلك أن يفهم الأسباب والخلفيات التى أدت إلى تلك التطورات حتى يفهم تطورات الأفكار التى أدت إلى ما نشهده الآن.

وهناك جانب تاريخى نختلف فيه عن الخطط والكتب الدراسية فى الخارج، وهو أن الكتب القياسية فى الموضوع كانت تعطى تفاصيل مهمة وكثيرة عن تطور التصنيف قديماً أى عن تاريخ التصنيف، وذلك مثل ريتشاردسون وسايرز وبليس، وهناك كتب أخرى كذلك مثل لامونتانى[٢٠]. هذه الأعمال موجودة فى المكتبة الغربية للموضوع ولكن الكتب الحديثة[٢١] بدأت تختفى منها الأجزاء الخاصة بالتاريخ. والطالب العربى قد يصعب عليه الرجوع إلى كتب ريتشاردسون وسايرز وبليس ولامونتانى، فإذا ذهب إلى الكتب الحديثة فلن يجد فيها شيئاً عن تاريخ

التصنيف اللهم إلا كتاب واينر الذى يضم معلومات مختصرة. هذه واحدة. ومن ناحية أخرى، فإن هذه الكتب لا تضم شيئاً عن تاريخ التصنيف عند المسلمين إما عن جهل أو عن تجاهل. وقد كتبت منذ ثلاثين سنة دراسة عن التصنيف عند العرب تناولت فيها الأسباب التى تدعونا إلى دراسة تاريخ التصنيف[٢٢]. وإذا كانت تلك الأسباب تصدق على تاريخ التصنيف بعامة، فإن لدينا أسبابا خاصة لدراسة تاريخ التصنيف عند المسلمين؛ وقد ذكرنا فى الأهداف العامة، كذلك، أن البرنامج هو فى مجتمع عربى إسلامى:

١. إبراز ما للمسلمين من دور فى تاريخ العلوم وذلك فيما يخصنا نحن المتخصصين فى علوم المكتبات. والحقيقة أن لهم فى هذا الصدد دوراً مهماً. وقد درست ذلك فى أكثر من مكان. ومن تلك الدراسة نجد أن التصنيف كان علماً من العلوم عند المسلمين[٢٣].

٢. تأثير الأفكار الأولى فى ترتيب وتنظيم المعرفة على الأفكار الحديثة، ومدى ما يمكن أن تسهم به تلك الأفكار القديمة المتجددة على تنظيم المعرفة فى العصر الحديث[٢٤].

٣. عند إعداد التصانيف الحديثة للموضوعات المختلفة سوف نجد أن تنظيم العلوم العربية والإسلامية عند علماء المسلمين أساسيٌ جدا فى تنظيمها فى العصر الحديث. ذلك أن تلك العلوم علوم نقلية[٢٥].

للأسباب السابقة ـ سواء ما كان منهاعاماً أو ما كان منها خاصاً بنا ـ فلابد من دراسة تاريخ التصنيف بصفة عامة وتاريخ التصنيف عند المسلمين بصفة خاصة، حتى يجد الطالب والدارس ذلك الجزء من الموضوع متاحاً ومعروفا لديه.

ثالثا: نظم التصنيف العامة والمتخصصة

ظهرت سبعة أنظمة عامة، وعدد كبير من أنظمة التصنيف المتخصصة. والخطط العامة هى:

١. التصنيف العشرى لديوى

٢. التصنيف العشرى العالمى

٣. تصنيف مكتبة الكونجرس
٤. تصنيف رانجاناثان: الكولون.
٥. تصنيف بليس الببليوجرافى.
٦. تصيف كتر الواسع.
٧. تصنيف براون الموضوعى.

وأخيراً: التصنيف الدولى لفريمونت رايدر. وهذه الخطة الأخيرة لم تحتل أية مكانة فى دراسة التصنيف، اللهم إلا مجرد الإشارة إليها لأن صاحبها لم يتمها وإنما كتب عنها قبل وفاته كتابة ليست مفصلة. وقد أشرت إلى هذه الأنظمة فى الفصل السادس.

ورغم أن خطة تصنيف كل من كتر وبراون أسبق فى الظهور (كتر بعد ديوى مباشرة، وبراون فى أواخر ق ١٩)، إلا أنهما قد توقفتا عن النمو، فتصنيف كتر لم يكتمل وإنما وصل إلى التوسيع السادس (١٨٩١)، وتصنيف براون لم يعد يحدث الأمر الذى جعل المكتبات التى تتحول عنه. ولا يكاد يذكر إلا بعض الكتب البريطانية[٢٦]، وحتى الكتب الحديثة أغفلته. وهذان النظامان يدرسان الآن فقط فى تاريخ التصنيف.

وتقتصر الكتب القياسية ـ عدا ما ذكرت ـ على الخطط الخمس الأولى. ولكى يفهم الطالب تلك الخطط فهماً جيداً فلابد أن يدرس العناصر والنقاط الآتية عن كل خطة:

١. تاريخ الخطة وتطورها.
٢. بنية الخطة والأسس التى قامت عليها.
٣. طبعات الخطة ومراجعتها.
٤. التصنيف العملى بالخطة.
٥. مستقبل الخطة.

هذا ما يدرسه الطالب الأجنبى، أما الطالب العربى فهو يحتاج أيضاً إلى دراسة: العلوم العربية والإسلامية فى كل خطة. ولما كان التصنيف العشرى أكثر الخطط انتشاراً فى الخارج وفى منطقتنا، فإنه يحتاج إلى معالجة مستقلة.

ديوى وتعديلاته

التصنيف العشرى الأصلى يصدر فى صورتين:

١. الطبعة الكاملة، قد وصل الآن إلى الطبعة ٢١ التى صدرت سنة ١٩٩٦.

٢. الطبعة المختصرة، وقد وصلت الآن إلى الطبعة ١٣.

وقد مر التصنيف العشرى بتطورات كثيرة منذ بدء صدوره فى ١٨٧٦ وحتى الآن، من حيث سياسة التحرير، ومن حيث متابعة تقدم المعرفة وتتابع الطبعات. وليس بوسعنا الآن أن نتحدث عن هذه الأمور[٢٧]. وخلاصة القول هنا أن التصنيف العشرى حينما تصدر طبعة جديدة منه فى الخارج تقوم المكتبة بالمواءمة مع الطبعة الجديدة فيما يعرف بترحيل الموضوعات، وهى عملية ضرورية بالنسبة للتصنيف العشرى، وأصبحت سياسة مستقرة بالنسبة له اعتباراً من ط١٧. وهذه المشكلة أدت إلى تحول المكتبات الكبيرة وخاصة الجامعية عن التصنيف العشرى بحيث أصبحت تستعمل تصنيف مكتبة الكونجرس.

هذا جانب من الصورة. والجانب الآخر هو بالنسبة للمكتبات العربية، حيث كان التصنيف العشرى هدفاً للجهود التى انصبت على تبنى خطة عالمية لتصنيف المكتبة العربية. وفى هذا الخصوص ظهرت أعمال كثيرة لتعديل التصنيف العشرى معظمها أنصب إما على الألف الأولى، أو على طبعة مختصرة أو أخرى. وهناك محاولة واحدة فقط لترجمة وتعديل طبعة كاملة[٢٨].

والحقيقة أن ديوى يعدل فى كل مكان بالوطن العربى، ومن المتعذر أن نحصر كل الجهود التى تمت لتعديله، فهى كثيرة جداً، والأعمال بعضها نشر، وبعضها لم ينشر، بل إن كل مكتبة عربية لها تطبيقها المختلف للتصنيف العشرى.

وفيما يتعلق بتطبيقات ديوى فى المكتبة العربية تبرز قضيتان:

١. قضية متابعة الطبعات الجديدة.

٢. قضية النسخة المستعملة من التصنيف العشرى.

والقضيتان متداخلتان بالنسبة للمكتبة العربية تداخلاً شديداً. وقد ذكرت منذ قليل

أن المكتبة الأمريكية مثلاً تقوم بمواءمة المجموعات مع الطبعة الجديدة حينما تصدر. وهذه العملية تتم مع كل طبعة فلا يحدث تراكم للطبعات والتغييرات. هذا فى وجود اختصاصيين متمرسين وفى وجود فهارس منظمة وموحدة، وفى وجود مكتبات وخدمات مركزية قوية وقائدة: مثل مكتبة الكونجرس و OCLC و هذه المكتبات والخدمات تنشر خبراتها فى كل مكان فلا يترك للاختصاصيين المحليين من العمل إلا النزر اليسير.

والخلاصة أن أمريكا كلها تستخدم ديوى واحداً فى كل مكتباتها وأن أرقام تصنيف ديوى موحدة فى المكتبات الأمريكية، اللهم إلا فى بعض الموضوعات المحلية.

ما هو الوضع عندنا: الوضع عندنا مختلف تماما، وهو يمثل مشكلة حقيقية أمام المكتبات العربية. وسوف أعطى مثالاً من مكتبة إحدى الجامعات العربية لعله يوضح الصورة.

حينما نشأت مكتبة الجامعة تلك (١٩٦٦) كان التعديل المعروف أيامها هو تعديل الدكتورين محمود الشينطى وأحمد كابش الذى صدر سنة ١٩٦٠ وهو متعلق بالطبعة الثامنة الموجزة من ت ع (١٩٥٩) المرتبطة بالطبعة ١٦ (١٩٥٨) (الطبعة ١٧ الأصلية من ديوى ظهرت ١٩٦٥ ولكن تلك المكتبة طبقت التعديل المشار إليه).

تبنت تلك الجامعة ذلك التعديل وكلما ظهرت طبعة جديدة من تصنيف ديوى أخذوا منها التفاصيل التى يحتاجونها وأضافوها إلى تعديل ١٩٦٠، حتى تضخم وزادت تفاصليه المأخوذة من عدة طبعات كاملة على مدى أربعين عاما. والخلاصة أن النسخة المطبقة الآن لا علاقة لها بالطبعة الأصلية من ديوى ولا علاقة لها بتعديل ١٩٦٠، وإنما هى نسخة خاصة تماماً. وبطبيعة الحال أرقام التصنيف ليست موحدة مع المكتبات الأخرى ولا مع أى مكتبة أخرى.

هذا هو باختصار ما يحدث فى معظم ـ إن لم يكن كل ـ المكتبات العربية. فلا مؤاءمة مع الطبعات الجديدة، ولا وحدة فى أرقام التصنيف، ولا وحدة بين المكتبات ولا غير ذلك من أمور بديهية تتعلق بتطبيق نظام التصنيف.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك أمورا منها:

١. تعدد التعديلات العربية بصورة أقرب ما تكون إلى الفوضى. ومن العسير أن نجد أى فكر وراء إصدار هذه التعديلات[٢٩].

٢. النقص الحاد فى الاختصاصيين ذوى الخبرة فى التصنيف، والنقص الكبير فى الدراسات الأكاديمية فى الموضوع. الأمر الذى يدل على عدم الاهتمام[٣٠].

٣. فضلاً عن غياب الفكر الصحيح والنظرة الصائبة وراء إصدار هذه التعديلات، وكأنها مجرد كتب[٣١] تصدر، فضلا عن هذا فإنها جميعا تنطوى على أخطاء كثيرة جدا فى البنية والترتيب وفى الكشافات وكل جديد منها يضيف إلى الفوضى الحادثة فى المجال.

والخلاصة هى البعد تماما عن معايير التصنيف، وعن وحدة الأرقام وعن وحدة التطبيق[٣٢].

الخطة العربية للتصنيف

بزغت فكرة الخطة العربية للتصنيف منذ مدة طويلة. وقد كتبت عنها الكثير. وخلاصة القول أن تلك الخطة قد نبعت من عدم كفاية نظم التصنيف الأجنبية لمعالجة الموضوعات العربية والإسلامية سواء كفكر أو كأنظمة. وأن الخطة العربية للتصنيف تشتق تنظيمها من النظرية التى وضعها المسلمون لتنظيم المعرفة، وأنها تضع حدا للفوضى التى تعيشها المكتبات العربية بالصورة التى ألمحنا إليها منذ قليل.

وقد أشرت من قبل إلى ما كانت عليه الصورة فى مؤتمر بغداد، ثم ما حدث بعده. وأضيف الآن أن توصيات المؤتمر قد تضمنت التوصية بتدريس موضوعات الخطة العربية للتصنيف، وتطبيق الأجزاء التى تمت من هذه الخطة[٣٣].

والحقيقة أن تدريس موضوعاتّ تلك الخطة ضرورى جدا لكى تظل جذوتها مستعرة وأفكارها حية حتى يقيض الله لها من المؤسسات العلمية مؤسسة تتبناها وتستكملها. كما أن تدريس موضوعاتها يتيح للأجيال الجديدة التعرف عليها حتى لا يقعوا فى أخطاء فكرية قاتلة[٣٤].

التصانيف المتخصصة

المكتبات ومراكز المعلومات المتخصصة من الظواهر المهمة فى عالم المكتبات والمعلومات فى العصر الحديث. وقد أدت هذه الظاهرة إلى تغيير فى تعليم المكتبات والمعلومات فى الدول التى سبقتنا[٣٥]. وفيما يتعلق بالتصنيف فقد أدى وجود هذه الظاهرة إلى بزوغ قضية مهمة جدا، وهى: ماذا تفعل المكتبة المتخصصة حينما تواجهها مشكلة التصنيف. وقد كتبت فى هذا الموضوع من قبل[٣٦]، كما أن موضوع التصانيف المتخصصة فصل مهم فى أى كتاب قياسى فى الموضوع [٣٧]، وهو أيضا أحد الأسباب الرئيسية للكثير من التطورات التى حدثت فى مجال التصنيف والتكشيف. وذلك لأن إنشاء خطط عامة جديدة ليس بالأمر السهل، ولذلك جاءت كثير من التطورات الحديثة فى التصنيف فى مجال إنشاء الخطط المتخصة التى أنتج منها عدد كبير جداً.

كذلك جاءت كثير من التطورات فى مجال التكشيف وفى مجال إنشاء المكانز فى هذه المنطقة: المكتبات والتصانيف المتخصصة.

وهناك جانب آخر يتعلق أيضاً بظروف المكتبة العربية، وهو أن هناك ظروفا عملية قد تواجه العاملين فى المكتبات العربية تحتم عليهم إما تطبيق تصنيف متخصص أو إنشاء مثل هذا التصنيف. ولعل هذا أحد الأسباب الرئيسية التى تدعونا إلى الاهتمام بقضية التصانيف المتخصصة فى برامجنا، وإلى الاهتمامام بمنهج أو طريقة بناء التصانيف المتخصصة: أى نظرية التصنيف.

رابعاً: نظرية التصنيف

إن نظرية التصنيف هى أكثر أجزاء موضوع التصنيف إثارة للجدل، فقلما حظى جزء من نظرية التصنيف بالاتفاق. ومند ظهر التصنيف العشرى سنة ١٨٧٦ وعلماء التصنيف يختلفون حول قضايا التصنيف ونظرياته، الأمر الذى أدى إلى ظهور مدارس فكرية لكل منها أفكارها وآراؤها ونظرياتها فى كل جزء من أجزاء نظام التصنيف. ومن المفيد بالنسبة لمن يدرس التصنيف أن يستوعب الإطار العام الذى نمت فيه النظم والنظريات.

وكان أول من تحدث فى نظرية التصنيف هو كتر. ومع أن كتر معروف بقواعده للفهرس القاموسى، إلا أنه صاحب نظام مستقل هو التصنيف الواسع. وكان كتر من أوائل من انتقدوا التصنيف العشرى. ورغم أن كتر من رفاق ديوى فى رحلة الكفاح من أجل تطوير المكتبات فى الولايات المتحدة إلا أنه لم يحب التصنيف العشرى، وانتقده فى نقطتين رئيسيتين ظلتا من العلامات المميزة فى نقد التصنيف العشرى فى الكتابات التى جاءت بعد ذلك وهما: الترتيب غير العلمى، وضيق الأساس العشرى. ولذلك فقد حاول كتر أن يعد تصنيفا يرتب ترتيبا علميا ويوسع من أساسه الرمزى، ولذلك فقد اختار رمز الحروف لأن سعتها كبيرة وقابليتها للتوسع أكبر من الأعداد التى استخدمها ديوى والتى كان يعتبرها من أهم صفات نظامه العشرى. ونلاحظ هنا أن كتر رغم أنه صاحب فكرة الفهرس الموضوعى الألفبائى الذى يعتمد على قائمة رؤوس الموضوعات، وأنه صاحب القواعد المشهورة التى انبنى عليها الفهرس القاموس ـ رغم هذا فإنه صاحب نظام تصنيف أيضا. وفى هذا إشارة ضمنية مبكرة إلى أنه لا تضاد ولا تنافر بين النوعين وإلى فكرة التكامل التى تبلورت فيما بعد. وفى هذا رد على من ينتصرون لهذا النوع أو ذاك إنطلاقا من نظرة ضيقة إلى مفهوم تنظيم المعرفة.

ويمكن أن نقول هنا أيضا إن كتر كان رائد المدرسة التقليدية التى تركز على الترتيب العلمى لأقسام التصنيف وتفاصيله. ثم استمرت هذه المدرسة وتطورت وتبلورت أفكارها على يدر ريتشاردسون، ثم بلغت أوجها أو ذروتها عند بليس الذى جعل التصنيف مجالا لنشاط حياته كلها، وذلك مروراً بسايرز الذى لم يكن صاحب نظرية مستقلة أو نظام تصنيف خاص.

فى مقابل هذه المدرسة العلمية توجد المدرسة العملية التى تزعمها وندهام هلم والذى يقصر وظيفة التصنيف على ترتيب الكتب على الرفوف ولا يهتم بعملية التحليل الموضوعى التى هى الأساس الأول للتصنيف(٣٩).

وفى غضون ذلك ظهرت أنظمة أخرى بعد ديوى وكتر هى تصنيف مكتبة الكونجرس، الذى يعد مثالاً لنظريات السند الأدبى وترتيب الكتب، حيث لا يوجد فى

مكتبة الكونجرس فهرس مصنف، وإنما تعتمد فى الاسترجاع الموضوعى على الفهرس القاموسى، ثم ظهرت بدايات التحليل والتركيب على يد بول أوتليه وهنرى لافونتين وذلك فى التصنيف العشرى العالمى الذى قصد به تنظيم الببليوجرافية العالمية. كما ظهر تصنيف براون البريطانى الذى كان له نظرية فريدة بالنسبة لترتيب مجالات المعرفة المتخصصة تخالف كل الأنظمة والنظريات الأخرى(٤٠).

وقد جاءت معظم التطورات والنظريات الحديثة فى التصنيف على يد رانجاناثان عالم المكتبات والتصنيف الهندى، ومن ورائه المدرسة الهندية، وجماعة البحث فى التصنيف فى بريطانيا ومن ورائها المدرسة البريطانية. والحقيقة أن نشاطات هاتين المدرستين وكتاباتهما وجهودهما هى التى قادت حركة تطور التصنيف فى مدى يزيد على ستين سنة.

وأخيراً، وليس آخراً، تأتى الأفكار العربية الإسلامية فى الموضوع والتى تبلورت فى نظرية إسلامية لتنظيم المعرفة فى إطار الجهود التى بذلت لإنشاء خطة عربية أو تصنيف إسلامى(٤١).

وفى مقابل نظريات التصنيف ظهر مُتَخَذٌ للتصنيف هو التكشيف المترابط-Co - or dinate indexing، والذى جاء رداً أمريكيا على عدم الثقة فى التصنيف، والرغبة فى تكوين المفاهيم بغض النظر عن ترتيبها(٤٢). وهذا يفتح الباب أمام مجال جديد من مجالات دراسة التصنيف، وهو العلاقة بين التصنيف والتكشيف ودور التصنيف فى بناء أنظمة التكشيف، خاصة وأن الجزء الأساسى فيما يعرف بالمكانز يكون فى الغالب هو الجزء المصنف، ويبنى على أسس التحليل الوجهى.

ونحن بطبيعة الحال لاندرس هنا هذه الأمور وإنما نتناول رؤوس الأقلام والإطار العام(٤٣). وخلاصة الآراء فى هذا الخصوص هى أن التصنيف لا يزال يلعب دوره كأنظمة وكأسلوب فى نفس الوقت، وأنه مهما ابتعدنا عن التصنيف فإننا لابد عائدون إليه وأنه أساس كل أنواع وطرق الاسترجاع الموضوعى للمعلومات.

ويهمنا الآن وبعد هذا العرض المبسط أن نلم بالأسباب التى تجعلنا ندرس نظرية التصنيف. والحقيقة أن هذا الموضوع أيضاً من أكثر الموضوعات إثارة للجدل،

وخاصة فى الوطن العربى، حيث يرى البعض أنه طالما أن الهدف من تعليم التصنيف هو إجراء التصنيف العملى بكفاية فما الداعى إذن لأن نُعَنِّىَ أنفسنا بدراسة نظرية التصنيف ، وهى الجزء الأصعب فى دراسة التصنيف.

وبطبيعة الحال لا يمكننى فى هذا الموضوع، كما فى كثير من الموضوعات التى اشتمل عليها هذا الفصل، أن أدخل فى المناقشات بالتفصيل، وإلا لا احتاج الأمر إلى حيز كبير جدا. والحقيقة أن كل قضية من القضايا التى تناولتها هنا جديرة بأن يفرد لها دراسة مستقلة، إذا أردنا أن ندخل فى المناقشات. ولكنى أحاول هنا أن أتحدث عن بعض الأسباب وأرصد بعض الاتجاهات وأحيل إلى المصادر المختلفة.

وإذا كنا قد اتفقنا على أن الهدف الأساسى لتعليم التصنيف هو إجراء التصنيف العملى بكفاية ـ فإن المصنف لا يستطيع أن يؤدى هذا العمل بالصورة المرجوة مالم يفهم الأنظمة التى يتعامل معها جيدا، ولكى يعرف هذه الأنظمة جيداً فلابد من دراسة الأسس التى قامت عليها تلك الأنظمة، وكيفية تنظيمها للعلوم وترتيب مجالات المعرفة المختلفة، والرمز وظائفه ووظائف الكشاف، الخ. وهذه كلها مباحث فى نظرية التصنيف. باختصار لكى يكون المصنف مصنفا أفضل ـ بالمعنى العملى ـ فلابد من دراسة نظرية التصنيف.

كذلك يحتاج المصنف إلى أن يكون قادراً على المقارنة بين الأنظمة ومعرفة فضائل وعيوب كل نظام حتى إذا كان فى موقف يحتاج فيه إلى الاختيار كان بوسعه أن يختار؛ بين نظام عام وآخر، بين نظام عام ونظام متخصص، بين نظام متخصص وآخر.

وهذه النقطة السابقة تنطبق بصورة أكبر على العاملين فى المكتبات العربية الذين يواجهون ظروفا عملية قد تتطلب منهم إجراء تلك المقارنات. كما أن بعض الظروف العملية تحتاج من المصنف إلى أن يكون قادراً على تعديل النظام، أوحتى إلى إعداد نظام جديد وخاصة فى المجالات المتخصصة. وهذا كله يحتاج إلى دراسة نظرية التصنيف.

وقد كشفت دراسة أجريت فى الولايات المتحدة عن مناهج التدريس فى ٧١ مدرسة مكتبات أمريكية عن اتجاه نحو تدريس نظرية التصنيف والتكشيف (نظرية تنظيم المعرفة) وإدخال هذه التطورات فى مناهج هذه المدارس. ويعلق كاتب الدراسة على هذا الاتجاه نحو النظرية بقوله: «وفى رأينا أن هذا يدل على شىء من النضج فى علمنا»(٤٤).

هذا وإن الموضوعات التى تدرس فى مدارس المكتبات تنعكس فى الكتب القياسية عن الموضوع. وقد رأينا على مر تاريخ التصنيف فى العصر الحديث أن الكتب الدراسية القياسية تمثل فى معظم الأحيان المناهج التى تدرس فى مدارس المكتبات، وقراءات جمعيات المكتبات. وعلى هذا فإننا يجوز لنا أن نعتبر ما تحتوى عليه تلك الكتب القياسية مؤشراً كافيا على اتجاهات التدريس. وفى هذا الصدد فسوف نجد أن الكتب القياسية تضم أجزاء مهمة عن نظرية التصنيف وقد سبق أن رأينا أن دافيسون يسمى كتابه: نظرية التصنيف، وهو دليل إرشادى إلى امتحانات جمعية المكتبات البريطانية، رغم أنه يضم كل الموضوعات التى تشتمل عليها تلك الامتحانات.

ولا بأس هنا أن أعطى رأيا واحداً فى الموضوع، ثم أشير إلى الكتب الأخرى فقط.

تقول جنيفر راولى فى فصل عن نظرية التصنيف وتحت عنوان: لماذا النظرية: «إن دراسة التصنيف الببليوجرافى يمكن أن تركز فقط على الخطط الرئيسية وبعض الخطط الأقل أهمية والتى تستخدم بكثرة فى أيامنا هذه. ومع ذلك، فرغم أن هذه الدراسة سوف تسمح بشىء من المقارنة بين الخطط المختلفة، فإن مثل هذه المعالجة البرجماتية لن تقدم البارامترت اللازمة للمقارنة؛ لا ولن تُعرِّفَ أية معايير مما يجب أن تواجه الخطط. وإن دراسة السمات التى تقف وراء العملية التصنيفية ودراسة مكونات خطة التصنيف هو على هذا النحو إعداد للتطبيق الأكثر تقدما لخطط التصنيف. والأكثر من هذا أن التصنيف وشبكة العلاقات بين الموضوعات يمكن أن تكون دراسة مهمة فى ذاتها حتى ولو كانت بمعزل عن التطبيق. وتصنيف راولى:

«هناك باختصار، تطبيقان مهمان لنظرية التصنيف:

١. يمكن أن تطبق النظريات الجديدة فى تطوير ومراجعة الخطط الموجودة.

٢. يمكن أن يستفاد من النظريات الحديثة كأساس للخطط الجديدة. ومعظم الخطط الجديدة، لن تكون عامة، ولكن ستكون على الأرجح خطط تصنيف متخصصة، تصمم من أجل تطبيق أوموضوع معين»[٤٥].

خامسا: التصنيف وتكنولوجيا المعلومات

يقصد بهذا علاقة التصنيف بالحاسب الإلكترونى. وهى التطورات الحديثة والحديثة جدا والتى تبين كيف أثرت الحاسبات على نظرية التصنيف وممارسته.[٤٦] ويمكن أن نرجع بداية تلك التطورات إلى بداية دخول شكل موحد (مارك) إلى المكتبات لنقل التسجيلة الببليوجرافية، ثم تطور فهارس الإتاحة العامة المباشرة (أوباك) المتطورة التى تيسر الوصول إلى الفهارس الخاصة بالمكتبة، وكذلك بالتطورات الهائلة فى نقل الأجهزة والبرامج التى تقدم الآن إلى المكتبى.

وليس من السهل أن نتحدث هنا عن هذه التطورات، فهى تطورات كثيرة وعميقة حفلت ببحوث كثيرة فى جوانب شتى من العمل وقد تناول هذه البحوث وهذه التطورات كتاب كامل نقلته إلى العربية ونشر حديثاً جداً وسبقت الإشارة إليه[٤٧].

وهناك جانب آخر من جوانب علاقة التصنيف بالحاسب وهو استخدام الحاسب فى التصنيف والتكشيف. علاقة الحاسب بالأوباك تنصب على الاسترجاع، أما هنا فهو استخدام الحاسب فى مجالين:

١. تصنيف وتكشيف الوثائق.

٢. إعداد أنظمة التصنيف والتكشيف. وخاصة إعداد التصنيف الأوتوماتى للكلمات المفاتيح keyword automatic classification.

وكلا الجانبين حافل بالبحوث منذ مدة طويلة. ولم يصل البحث فيهما بعد إلى نتيجة حاسمة. ومن التطورات فى هذا الصدد أيضاً توفير جداول خطط التصنيف الكبرى فى شكل مقروء للآلة. وقد كان ذلك عاملا مهما فى تنشيط البحث فى ذلك المجال، وفى تنشيط بحث أو فحص دور التصنيف كأداة بحث. وأوضح مثال

على هذا هو الاهتمام الذى أثاره إنتاج: ديوى الالكترونى Electronic Dewey وهو نسخة CD - ROM من الطبعة العشرين من تصنيف ديوى العشرى، والتى يتم تحديثها سنويا لكى تعكس التغيرات والمراجعات على الخطة. مثل هذه الأداة تجعل التصنيف أسهل فى الاستخدام وتجعله أصح عند التطبيق أى يتم تطبيقه بصورة أصح. وبالإضافة إلى تدعيم البحث عن المجال المناسب (الصحيح) من الجداول بواسطة مصطلحات الكشاف والجداول نفسها فإن ديوى الالكترونى يوفر كذلك حتى خمسة رؤوس من قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونجرس وتسجيلة ببليوجرافية نموذجية ومساعدة مباشرة Online لمساعدة المكتبى فى اختيار أنسب رقم تصنيف.

والبحث جار على قدم وساق لإجراء المزيد من التحسينات على الاسترجاع الموضوعى المباشر، وكذلك لاستخدام التصنيف لدعم الاسترجاع الموضوعى فى فهارس البحث المباشر واستخدام التصنيف فى التكشيف الآلى وإنشاء المكانز[٤٨].

هذه التطورات وغيرها لابد من دراستها، خصوصا وأن المكتبات العربية، كما سبق أن أشرت، يتحول الكثير منها الآن إلى الحاسب وبعضها يستخدم فهارس البحث المباشر، ويحتاج الخريجون إلى مثل هذه الخبرة عند عملهم فى تلك المكتبات.

ورغم أن التصنيف الأتوماتى قد بدأ بحثه فى وقت مبكر نسبيا منذ الستينات، إلا أن البحث فيه أبطأ من سابقه (الأوباك) لأن الأخير يعالج الاسترجاع فقط، أما البحث فى التصنيف الأوتوماتى سواء بالنسبة لتصنيف الوثائق أو بالنسبة لإعداد التصنيف أوتوماتيا، فإنه ينطوى على الحكم والتقدير وإدراك العلاقات، وهذا من الصعب تحقيقه آليا.

سادسا: إدارة التصنيف

يتضمن هذا المبحث قضايا تتعلق بالجوانب الفنية والإدارية التى لها علاقة بالتصنيف؛ ومن ذلك سياسة المكتبة إزاء التصنيف. إن نظرة المدير إلى التصنيف مهمة، وذلك أنه رغم أن التصنيف عملية فنية محضة إلا أن لها ارتباطات بجوانب إدارية. كذلك يدخل هنا أعمال قسم الفهارس التى لها علاقة بالتصنيف. ويدخل فيها عناصر مثل العوامل التى تحد من تطبيق التصنيف، ومتابعة الطبعات الجديدة،

وإعادة التصنيف، وتكلفة التصنيف، والإرشاد إلى الفهرس المصنف وإلى نظام التصنيف، ودرجة التصنيف، وما إلى ذلك من الموضوعات.

وهناك إنتاج فكرى كبير حول هذه القضايا. وربما كان أول كتاب يتناول شيئا من هذه القضايا هو كتاب جريس كيلى[٤٩]. كما كتب ملز فصلاً مهما عن ذات الموضوع[٥٠]. كذلك كتبت ريتا مارسيلا وزميلها فصلاً مطولاً عن الموضوع[٥١] كما أن هناك أعمالاً مستقلة عن بعض أوكل واحد من الموضوعات، مثل: إعادة التصنيف، والفهرس المصنف، وتكلفة التصنيف، ونظرة المدير إلى التصنيف، الخ[٥٢].

صياغة الأهداف

ونصل الآن إلى صياغة محددة لأهداف تدريس التصنيف فى أقسام المكتبات العربية. وهذه الأهداف مهمة جدا، وكانت مناقشاتنا السابقة لوضع الأسس لتلك الأهداف، حيث أن أهداف التدريس مع الخطة المقترحة فى غاية الأهمية بالنسبة لتدريس الموضوع. وقد ذكرت من قبل أن هذه الدراسة ربما تفتح الباب لمزيد من الحوار حول الموضوع وصولاً إلى الأكمل والأفضل إن شاء الله.

والأهداف التى سوف نسجلها هنا، مع الخطة المقترحة، كما سوف يتضح لا يمكن أن يتضمنها مقرر دراسى واحد، حيث أن مفردات الخطة وما يرتبط بها من أهداف لا يمكن أبداً تدريسها فى مقرر دراسى واحد. وسوف نحتاج إذن إلى مقررين:

مدخل إلى التصنيف

التصنيف المقارن ونظرية التصنيف

فى الأول يمكن دراسة الأساسيات، وفى الثانى تدرس بقية الموضوعات بناء على رؤية كل قسم من الأقسام، ومن ثم يكن أيضاً تحديد الأهداف وفقا لتلك الرؤية. وسوف أعطى قائمة كاملة مقترحة بالأهداف، وقائمة كاملة بالوحدات الموضوعية التى تدرس لمعاونة الزملاء القائمين بالتدريس على وضع أهدافهم وخططهم. هى إذن مجرد اقتراحات.

الأهداف

١. تعريف الطالب بالمفاهيم الأساسية لتنظيم المعرفة بصفة عامة، وطرق الوصول إلى المعلومات من خلال الموضوع ومكان التصنيف بينها.

٢. توضيح فكرة التكامل بين طرق الوصول الموضوعية مع تعريف الطالب بالمزايا النسبية لكل طريقة من طرق الوصول.

٣. تزويد الطالب بالتعريفات والمفاهيم الأساسية للتصنيف.

٤. تزويد الطالب بالمعلومات الأساسية التى توضح دور التصنيف فى المكتبات ومراكز المعلومات سواء من حيث الوظائف التقليدية أو دوره فى استرجاع المعلومات، ودوره فى فهارس البحث المباشر.

٥. تزويد الطالب بالمعلومات الضرورية فيما يتعلق بتاريخ التصنيف وتطوره وخاصة اعتبارا من العصر الإسلامى؛ ثم تطور الأنظمة والنظريات فى العصر الحديث.

٦. تزويد الطالب بالمعرفة اللازمة عن نظم التصنيف العامة الرئيسية وخاصة التصنيف العشرى وتعديلاته العربية.

٧. إعداد الطالب للممارسة العملية للتصنيف من خلال التدريب العملى.

٨. تعريف الطالب بأجزاء نظام التصنيف وأهمية كل جزء من هذه الأجزاء.

٩. تعريف الطالب بمنهج إعداد أنظمة التصنيف وخاصة التصانيف المتخصصة.

١٠. تعريف الطالب بالتطورات الحديثة فى مجال التصنيف وتكنولوجيا المعلومات.

١١. تزويد الطالب بالمعلومات الأساسية حول الجوانب الإدارية والإدارية الفنية فى ممارسة المكتبة للتصنيف والعوامل التى تؤثر على هذه الممارسة.

خطة مقترحة للاسترشاد بها عند إعداد البرنامج

أولا: تنظيم المعرفة: المفاهيم والدلالات

من بليس إلى نيدام

التحليل الموضوعى وطرق الوصول الموضوعية بصفة عامة

الجهاز الببليوجرافى للمكتبة:

الفهارس

الببليوجرافيات

الكشافات

التكامل بين أجزاء الجهاز الببليوجرافى

التكامل بين طرق الوصول

الوصف الببليوجرافى

الوصف أو التحليل الموضوعى

التصنيف

رؤوس الموضوعات

التكشيف

الفروق بين الطرق المختلفة والعلاقة بينهما

طرق الترتيب

كلمة المدخل

رقم التصنيف

الألفاظ

مشكلات الألفاظ والمصطلحات

الترجمة والتأصيل والتعريب، المترادفات، الخ.

المصطحات العلمية

ألفاظ الحضارة

ثانيا: دور التصنيف فى المكتبات ومراكز المعلومات

الوظائف التقليدية:

ترتيب الرفوف

ترتيب الفهرس المصنف

فى التزويد (الاختيار)

التحليل الموضوعى
دور التصنيف فى استرجاع المعلومات
دوره فى بناء المكانز
دوره فى طرق التكشيف
دوره فى فهارس البحث المباشر

ثالثا: التصنيف: المفاهيم والتعريفات الأساسية

رابعا: مباحث التصنيف

خامسا: تاريخ التصنيف وتطوره

التصنيف فى الحضارات القديمة
التصنيف عند اليونانيين
التصنيف عند المسلمين
التصنيف فى العصور الوسطى الأوربية
التصنيف فى العصر الحديث
تاريخ وتطور الأنظمة والنظريات

سادسا: نظريات التصنيف ومدارسه

(١) مدارس التصنيف ونظرياتها:
المدرسة العلمية (التقليدية)
من كتر إلى بليس
المدرسة العملية
وندهام هلم إلى فيليبس
المدرسة الحديثة
المدرسة الهندية (رانجاناثان)
المدرسة البريطانية (جماعة البحث فى التصنيف)
التطورات الحديثة فى المدرسة البريطانية

المدرسة العربية الإسلامية

(٢) أجزاء نظام التصنيف
الجداول
الرمز
الكشاف
التنظيم أو المؤسسة المشرفة
(٣) إنشاء خطة عامة للتصنيف
القضايا العامة
(٤) الأقسام الرئيسية فى خطة التصنيف العامة
تحديد الأقسام الرئيسية
ترتيب الأقسام الرئيسية
نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة
(٥) إنشاء تصنيف لحقل (مجال) موضوعى متخصص
التحليل الوجهى ومكملاته
الأقسام الأساسية
الأقسام الإصطلاحية
تكوين الأوجه
ترتيب الأوجه
حصر البؤرات
ترتيب الجدول (القائمة)
اختبار القوائم
إضافة الرمز
إعداد الكشاف

سابعا: نظم التصنيف العامة والمتخصصة

١ . التصنيف العشرى لديوى
٢ . التعديلات العربية للتصنيف العشرى لديوى
٣ . التصنيف العشرى العالمى

٤. تصنيف مكتبة الكونجرس
٥. تصنيف الكولون لرانجاناثان
٦. التصنيف الببليوجرافى لبليس
٧. الخطة العربية للتصنيف
٨. التصانيف المتخصصة
٩. التصنيف والمكانز

ثامنا: التصنيف العملى

١. تحديد موضوع الكتاب أو الوثيقة سواء من حيث الأهمية أو الآليات.
٢. ترجمة الموضوع المخصص إلى رقم التصنيف:
- تحديد القسم الرئيسى
- تحديد رقم التصنيف
- مراجعة الكشاف والجداول

تاسعا: التصنيف وتكنولوجيا المعلومات

التصنيف والحاسب
التصنيف الآلى
تصنيف الوثائق آليا
إعداد نظم التكشيف آليا
التصنيف والأوباك

عاشرًا: إدارة التصنيف

تصنيف الرفوف
الفهرس المصنف
درجة التصنيف
إعادة التصنيف
تكاليف التصنيف

المراجع والهوامش

(1) Simonton, Wesley C. The current role of Dewey, Library of Congress, and other classification systems in libraries. . (In: Tauber, M.E. Carlyle J.Frarey, Nathalie C. Batts, edits, The Dewey Decimal Classification: outlines and papers presented at the Teaching of Classification. New York: School of Library Service, Columbia University, 1968) P.1.

(2) op. cit.: p.2

(3) op.cit.: p.2

(4) Rockwood, Ruth. Teaching aids and methods: current availability and needs. (In: Tauber, M.F., op. cit. p.105).

(٥) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. تصور حول فلسفة وأهداف القسم: دراسة مقدمة إلى لجنة برنامج المكتبات وتقنيات التعليم، كلية التربية الأساسية. الكويت: كلية التربية الأساسية، ١٩٨٧. ص ٢.

(٦) تمت بالكويت عملية تقويم ذاتى لكليات ومعاهد الهيئة العامة للتعليم التطبيقى والتدريب. وكان من بين العناصر التى تم تقويمها المعيار رقم ٦ Standard Six المكتبة. وكانت هناك نماذج من الدراسات التقويمية التى تمت فى كليات Colleges مناظرة بالولايات المتحدة. وعند دراسة تلك النماذج لم نجد فى التقارير النهائية لها أية مشكلات تتعلق بالفهرسة والتصنيف ولا بأس هنا من ترجمة ما كتب عن قسم الفهارس فى أحد التقارير

(Broward Community College Library) p. 6 4.

«يقوم قسم الفهارس بوظائفه بكفاية وفاعلية. والكتب تفهرس ـ هكذا ـ وفقا

لنظام تصنيف ديوى العشرى. وفى سنة١٩٧٥، اشتركت BCC (الكلية المقصودة) فى: The Ohio College Library Center: OCLC، وتنظم البطاقات الآن (سنة ١٩٨٣) بواسطة نهاية طرفية: منفذ من OCLC.

«ويتم كل الفهرسة لمراكز الكلية الثلاثة فى قسم الفهرسة فى المركز المركزى. ولدى وصول البطاقات من OCLC، توزع على المراكز الثلاثة لكى تصف فى فهارسها كل على حدة...».

أما عند تقويم الكليات والمكتبات المناظرة بالكويت فقد كانت هناك صعوبات ونقاط ضعف تشمل كل جوانب العمل فى قسم الفهارس.

(٧) أنشىء دبلوم المكتبات فى قسم المكتبات بكلية الآداب جامعة القاهرة فى سنة ١٩٦٩. وكان فى البداية يقتصر على منح الدبلوم، ثم تطور بعد ذلك وأصبح يسمح للطالب بالاستمرار فى الدراسة للحصول على الماجستير. وهو يقبل الحاصلين على البكالوريوس أو الليسانس من جميع التخصصات عدا تخصص المكتبات. وفى جامعة الملك عبد العزيز بحدة يمكن لخريجى الدراسات المختلفة الالتحاق للحصول على الماجستير أيضاً. أما فى الكويت فهناك نظام السنوات الأربع فى كلية التربية الأساسية (منذ ١٩٨٧)، وأخيراً أنشىء فى جامعة الكويت (١٩٩٦) برنامج للماجستير فى كلية الدراسات العليا. أما معظم أقسام المكتبات العربية فهى تعطى الدرجة الجامعية الأولى. ويترتب على هذا أن الاختصاصى professional يكون على مستوى الليسانس أو البكالوريوس. وهذا يترك الخريجين أمام صعوبات عملية حينما يناط بهم أعمال التصنيف أو الأعمال الأخرى التى تحتاج إلى تخصص موضوعى. انظر فى هذا كتابنا: التصنيف العملى والتكشيف، ص ص ٢٦ ـ ٣٢.

(٨) جاء ضمن أهداف برنامج المكتبات وتقنيات التعليم الذى أعددناه فى كلية التربية الأساسية بالكويت، والذى أشرت إليه منذ قليل وكذلك فى التصور الذى أشرت إليه (ص ٥) ما يأتى:

«(٦) تأصيل قيم الحضارة العربية الإسلامية والتراث العربى الإسلامى من خلال تنشيط الاهتمام بمصادر التراث العربى والإسلامى وتعريف الطلبة بدور هذا التراث فى الماضى والحاضر والمستقبل.

«(٧) العمل على الربط بين علم المكتبات والمعلومات بصورته المتقدمة وحاجات المكتبات العربية والإسلامية والاهتمام بقضايا المكتبات العربية والعمل على تأسيس مدرسة فكرية عربية إسلامية فى علم المكتبات والمعلومات».

(٩) عن علاقة المكتبات بفكر الأمة بصفة عامة والأمة الإسلامية بصفة خاصة انظر بحثنا: الخدمات المكتبية للطفل العربى وسبل تطورها. فى كتابنا، بحوث فى المكتبة العربية. الكويت: دار الثقافة، ١٩٨٥. ص ص ٣٨ ـ ٤٥.

(10) Phillips, W. Howard. A primer of Book Classification.-. 5 th ed. - London: Association of Assistant Librarians, 1961. P. 167.

وقد تَرَجَمْتُ القواعد التى كتبها فيليبس إلى العربية فى وقت مبكر (١٩٦٥) ونشرت فى مجلة عالم المكتبات (القاهرة)، نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٦٥ ص ص ٢٤ ـ ٢٨.

(١١) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. ريتشاردسون مؤسس علم التصنيف الحديث. عالم المكتبات (القاهرة)، س ٨، ع٢، مارس ـ إبريل ١٩٦٦. ص ص ٢٢٨ ـ ٢٣١، ٢٣٦.

(١٢) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. كتر والتصنيف الواسع. عالم المكتبات (القاهرة)، س٨، ع٢، مايو ـ يونيو ١٩٦٦. ص ص ٣١ ـ ٣٥.

(١٣) فوسكت، أ. س. تنظيم المعلومات فى الكتاب ومراكز التوثيق/ ترجمة عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. ـ الرياض: دار العلوم، ١٩٨٠. ص ٤٨٩.

(١٤) صدرت الطبعة الثالثة عشرة فى سنة ١٩٣٢ بعد موت ديوى بسنة واحدة، وهى أول طبعة تحمل اسم ديوى فى عنوانها. لمزيد من المعلومات عن تطور الخطة، أنظر:

Chan, Louis Mai. Dewey decimal classification: a practical guide.- New York: Forest Press, 1996. p.5

(١٥) لقواعد التصنيف العملى بالتفصيل، انظر كتابنا: التصنيف العملى والتكشيف، ص ص ٢١ ـ ٦٤؛ وأما عملية التلخيص Summarization فقد عالجها لانجريدج بالتفصيل فى كتابه: التحليل الموضوعى: الأسس والإجراءات،

Palmer, B.I. Itself an education, London: the Library Association, 1971.

والفصل (المحاضرة) السادس. وهنا يقترح بالمر أن التصنيف يجب أن كيون دراسة أساس للمكتبية لأنه يتغلغل فى كل وظائف المكتبة.

وهو القسم الثانى من كتاب التصنيف العملى والتكشيف المشار إليه آنفا، الفصل الخامس، ص ص ١٥٥ ـ ١٩٩.

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) المصدر السابق

(١٨) ألورى، راو. التحليل الموضوعى فى فهرس البحث المباشر: مصدر سابق، ص ١٨٩. ونظرا لأهمية هذا الكتاب وحاجة المكتبات العربية والعاملين بها إلى موضوعاته قمت بترجمته كما أوضحت ذلك فى مقدمته.

(١٩) انظر بحثنا:: تنظيم المعرفة: بحث فى تطور المفاهيم والدلالات. مجلة المكتبات والمعلومات العربية ١٣ ع ٧، إبريل ١٩٩٨.

(٢٠) اهتمت الكتب التقليدية بتاريخ التصنيف، مثل كتاب ريتشاردسون:

Classification: theoritical and practical, 1930.

وكتاب سايرز:

Manual of Classification , 3 rd ed. 1959.

وذلك قبل تطويره على يد آرثر ملتباى Arthur Maltby وصدوره فى طبعتين متتاليتين: ط٤ (١٩٦٧)، وط ٥ (١٩٧٥).

وكذلك بليس فى كتابه:

The organization of knowledge and the system of the Sciences.

(٢١) أما الكتب الأحدث، فقد حذفت الجزء الخاص بتاريخ التصنيف، مثل ج. ملز: نظم التصنيف، و أ.س. فوسكت: تنظيم المعلومات، وراولى وغيرهم.

وحتى إذ تعرضت بعض الكتب الحديثة لتاريخ التصنيف، مثل كتاب ريتا مارسيلا وزميلها:

a new manual of classification (1994).

فإن الاهتمام ينصب على الفترة التى تلت عام ١٨٧٦ .

(٢٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم: المقدمة، جـ١ ، ص ص ٤٣ ـ ٧٦ . والجزء الخاص بالأسباب، ص ص ٤٥ ـ ٤٧ .

(٢٣) المصدر السابق، جـ١ ، ص ٣٢٤ ، ويسميه طاش كبرى زادة صاحب كتاب مفتاح السعادة: علم تقاسيم العلوم.

(٢٤) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. الخطة العربية للتصنيف: الإطار العام للخطة ونظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦ .

(٢٥) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦ . ص ص ١٠٥ ـ ١٠٧ .

(٢٦) ملز، ج. نظم التصنيف الحديثة فى المكتبات/ ترجمة عبد الوهاب أبو النور. القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٨٢ . الفصل العاشر ص ص ٢٠٠ ـ ٢٢٧ .

(٢٧) المصادر عن التصنيف العشرى كثيرة جدا. وهناك عدد من المصادر العربية:

(أ) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف الببليوجرافى..: مصدر سابق، الفصل الأول.

(ب) ملز، ج، مصدر سابق، الفصل السابع.

(جـ) فوسكت، أ.س. مصدر سابق، الفصل السابع عشر.

(د) وهناك أيضاً دراسة عن ديوى فى بحثنا: التعديلات العربية للتصنيف العشرى لديوى، فى كتابنا: الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين، مصدر سابق، وهو البحث الثانى.

والعملان (أ) و (د) يعالجان كثيرا من مشكلات تطبيق ديوى، سواء تتابع الطبعات أو تعدد التعديلات.

(٢٨) انظر دراستنا السابقة عن التعديلات.

(٢٩) انظر فى هذا الصدد موقف التعديلات العربية فى مؤتمر بغداد وتوصياته فى كتابنا: الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين، المقدمة.

(٣٠) على مدى يقرب من خمسين عاما لم يدرس التصنيف إلا خمس رسائل فقط.

(٣١) محرر الطبعة العربية من التصنيف العشرى، وهى ترجمة معدلة للطبعة ١١ المختصرة، والتى أصدرتها المنظمة العربية للتربية والثافة والعلوم (١٩٨٣) قام هو نفسه بمراجعة نسخة مترجمة ومعدلة أعدها أحد مواطنيه فى نفس الوقت أو بعده بقليل. فأى فكر وراء تلك الأعمال، فى حين قام ثالث بإعداد نسخة أخرى (الأسماء على التوالى: محمود الأخرس، اسماعيل الدباس، يونس الخاروف).

(٣٢) وجهت إحدى طالبات الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز بجده إلى دراسة مشكلات تطبيق ديوى في المكتبات السعودية، ولا أعرف النتائج التى توصلت إليها الباحثة، حيث أننى لم أطلع على الرسالة بعد إتمامها.

(٣٣) الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين. وتتعلق التوصيتان ١٧، ١٨، بالخطة العربية للتصنيف؛ الأولى (١٧) تتعلق بآلية استكمال الخطة باعتبار ذلك عملاً جماعياً للأقطار العربية، والثانية (١٨) تنص على ما يأتى:

«١٨ ـ يوصى المؤتمر بتعميم تدريس الخطة العربية للتصنيف فى أقسام ومعاهد المكتبات بالوطن العربى لتكوين الكوادر الفنية القادرة على تطبيق الخطة والإسهام فى تطويرها. على أن ترسل المنظمة وثائق الدراسات المتعلقة بتلك الخطة إلى هذه الهيئات». (ص ص ١٧ ـ ١٨).

والتوصيتان السابقتان هما توصيتان للأقطار العربية، وقد سبق ذلك توصيات للمنطمة تتعلق بالتصنيف، ونصها كما يأتى:

«ثانيا: فى مجال التصنيف:

«توصيات للمنظمة

«١٢ ـ يقر المؤتمر الأسس العامة للخطة العربية للتصنيف المقدمة إليه على أن تركز الجهود لاستكمال بناء هذه الخطة على ضوء تلك الأسس.

«١٣ ـ يوصى المؤتمر بأن تطلب المنظمة من المكتبات المتخصصة فى علوم الدين

الإسلامى وعلوم التربية والاجتماع تطبيق هذه الأقسام التى صدرت من الخطة العربية للتصنيف.

«١٤ ـ يوصى المؤتمر بأن تدعو المنظمة المكتبات ذات المجموعات الشاملة إلى البدء بتطبيق الخطة العربية للتصنيف فى الأقسام المشار إليها أو الانتظار حتى يتم استكمال الخطة.

«١٥ ـ يوصى المؤتمر بأن تقوم المنظمة بإبلاغ المكتبات المعنية بما يتم إنجازه من أقسام الخطة العربية للتصنيف بغرض تطبيقها فى هذه المكتبات.

«١٦ ـ يوصى المؤتمر بأن تخصص المنظمة دورات تدريبية للمصنفين فى مجال تطبيق الخطة العربية للتصنيف».

أما التوصية رقم ١٧ فهى كما يأتى:

«١٧ ـ لما كان استكمال الخطة العربية للتصنيف يحتاج إلى إمكانات بشرية وتمويل واسع يوصى المؤتمر الأقطار العربية بتشكيل لجان عمل فى كل قطر عربى تتولى العمل فى قسم أو أكثر من أقسام هذه الخطة وفق الإطار العام الذى تبنته المنظمة وأقره المؤتمر. ويتم إخطار المنظمة بأسماء أعضاء هذه اللجان ورؤسائها فى موعد أقصاه آخر فبراير (شباط) ١٩٧٨) ليتسنى للمنظمة عقد اجتماع لهم خلال نفس العام، وذلك لمناقشة ما أنجزوه ولمواصلة العمل فى الاتجاه المقرر. على ألا يقل عدد الأقطار العربية التى تكون أبلغت المنظمة أسماء ممثليها عن أربعة أقطار كشرط لعقد المنظمة للاجتماع المشار إليه».

«وفى هذا المجال فإن المؤتمر يشيد بالجهود التى بذلت فى إعداد ما تم من تلك الخطة، كما ينوه بالجهود التى بذلتها المنظمة فى سبيل إخراجها إلى حيز التنفيذ واستكمالها».

(٣٤) وأنا أهدى التوصيات السابقة إلى «الزميل» الكبير القادم إلى عالم المكتبات والمعلومات من عالم الفيزياء والجمادات، لعل فى هذه التوصيات، التى تعبر عن إجماع ورأى عام لم ينعقد مثله فى أى قضية من القضايا الخاصة بمجالنا حيث حضر المؤتمر الثانى للإعداد الببليوجرافى للكتاب العربى ما يزيد

على ١٤٠ من قيادات العمل المكتبى فى الوطن العربى، لعل فيها ما يجعله يدرك مدى خطأ أقواله التى كتبها فى كتاب نشر على نفقة معهد علمى أسسه المسلمون بأموالهم للدفاع عن الإسلام وتوضيح صورته أمام أهل الغرب. ولعله يعرف أن هناك فرقا بين توصيات تعبر عن رأى عام لعلماء المكتبات والمعلومات، وبين أقوال تتداول فى الجلسات الخاصة وتصدر عن نيات لا يعلمها إلا الله. وقد يتسع الوقت فى المستقبل لتتبع هذه الأخطاء بالتفصيل. أما الآن فأمامى ما هو أهم.

(٣٥) انظر فى هذا: تعليم العاملين فى المكتبات، فى كتابنا: التصنيف العملى والتكشيف، ص ص ٢٦ ـ ٣١.

(٣٦) المصدر السابق.

(٣٧) كل الكتب القياسية مثل ملز، ويندام، وفوسكت (أ. س.) ووراينر وريتا مارسيلا وراولى تعقد فصلاً عن التصانيف المتخصصة. وكذلك كتبت فصلاً عن التصانيف المتخصصة فى رسالتى للماجستير، وفى كتابى التصنيف لأغراض استرجاع المعلومات. وأنا أكتفى بهذه الملحوظة المختصرة منعا للإطالة.

(٣٨) انظر فى هذا

Davison, Keith. Theory of classification: an examination guidebook.- Bombay: Asia Publishing House, 1966.

(٣٩) للحصول على معلومات وافية عن آراء مدارس التصنيف انظر: عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. دراسة مقارنة... مصدر سابق. الجزء الثالث كله.

(٤٠) ملز، ج. نظم التصنيف الحديثة فى المكتبات. مصدر سابق، الفصل العاشر.

(٤١) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور. الخطة العربية للتصنيف: الأسس والإطار العام ونظرية المسلمين فى تنظم المعرفة. ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٦.

(٤٢) انظر فى هذا:

Davison, K. op. cit., pp. 26 - 27.

(٤٣) العلاقة بين التصنيف وأنظمة التكشيف وبناء المكانز هى إحدى القضايا المهمة الآن فى الموضوع وسوف ينشر قريبا فى مجلة المكتبات والمعلومات العربية وقد سبق أن ذكرت أننى أعددت بحثا عن دور التصنيف فى التكشيف الموضوعى. وقد أعطيت بعض المصادر عن هذه المسألة، انظر هامش (١).

(44) Journal of the American Society for Inforuation Science, Jan - Feb,. 1975.

(45) Rowley, J. Organizing knowlege in libraries. p. 176.

وقد خصص الكتاب الفصل الثالث عشر كله لنظرية التصنيف هذا علما بأن كتاب راولى هذا مسطح إلى حد كبير لأنه يتناول كل طرق الوصول من وصفية وموضوعية، وعلى هذا فإن معالجته ليست متعمقة. أما الكتب الأخرى التى خصصت لطرق الوصول الموضوعية فقط، أو للتصنيف فقط فإنها تخصص أجزاء كبيرة لدراسة نظريات التصنيف، وهذا يعد دليلاً على ضرورة دراسة نظرية التصنيف. وتفيد هذه الإشارات أيضاً فى كون تلك الكتب مصادر مهمة لدراسة نظرية التصنيف.

- Bliss, H.E. the Organization of knowledge and the system of the sciences, 1929.

- Bliss. The organization of knowlege in libraries and the subject approach to books, 1939.

- ملز ج. نظم التصنيف الحديثة فى المكتبات، مصدر سابق.

- Sayers, W.C.B. Manual of classification, 5 th ed. edited by Arthur Maltby, 1975.

- فوسكت، أ.س. تنظيم المعلومات فى المكتبات ومراكز التوثيق، ١٩٨٠.

- Marcella, Rita, Newton, Robert. A new manual of classification, 1994.

هذا عن الكتب القياسية. وهناك عدد لاحصر له من الكتب التى خصصت لنظرية التصنيف فقط، أو ضمت فصولاً عن نظريات التصنيف ومنهج بناء الأنظمة، وخاصة مبادئ التحليل الوجهى.

(47) Marcella, Rita, op. cit. p. 219.

(٤٧) التحليل الموضوعى فى فهارس البحث المباشر، وهو لا يقتصر على طريقة واحدة من طرق الوصول الموضوعى بل يعالجها جميعا إلى جانب فصول تقديمية وفصول عن التفاعل بين المستفيد والنظام، وعن تقويم أنظمة الاسترجاع.

(48) Marcella, Rita: op.cit.,p. 220.

(49) Kelley, Grace. The classification of books, 1937.

(٥٠) ملز، ج. نظم التصنيف... الفصل ١٥ كله.

(51) Marcella, Rita: op.cit. pp 181 - 214.

(52) Pearrault, J. Reclassification: Rational and problems, 1988, Downs Robert. The administrator looks at classification (ln: The role of Classification in the Modern American Library , (1959), Gore, Daniel. A negelected topic: the cost of classification. Library Joural, vol. 89, No 11, June 1, 1964. pp. 2287. 91.